كتاب أعجبني

عندما تكون كرة القدم هي الحياة ذاتها

في هذه المساحة نعرض في كل عدد كتاباً من الكتب التي عرضها البرنامج الإذاعي «كتاب أعجبني» الذي بدأت إذاعة سلطنة عُمان بثه في أكتوبر ٢٠١٠ . ومنذ ذلك الحين استضاف فيه معده ومقدمه سليمان المعمري عشرات القراء الذين عرضوا مئات الكتب. في هذا العدد نعرض كتاب «كرة القدم: الحياة على الطريقة البرازيلية» للكاتب الصحفي البريطاني إليكس بيلوس.

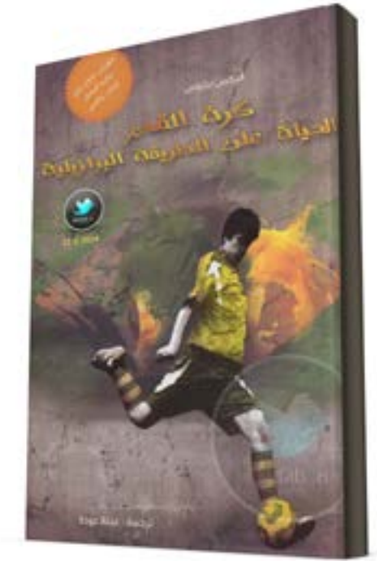

عرض : الدوّن موسى البلوشي

موعدنا في هذه الحلقة مع كتاب يطوف بنا في أرجاء البرازيل؛ من أقصاها إلى أدناها. من شواطئ ريودي جانيرو الساحرة وأحياء ساو باولو المكتظة، إلى غابات الأمازون الكثيفة التي لا يزال معظمها حتى الآن مجهولا. ليعرض لنا عبر رحلة الكاتب مسيرة كرة القدم في البرازيل، وكيف غير البرازيليون هذه اللعبة إنجليزية الأصل وطوروها لتصبح لعبة الفن الجميل الذي يحتشد لمتابعته الملايين. ونتعرف في هذه الرحلة من خلال الكتاب على حياة عدد من اللاعبين، أمثال بيليه وجارينشا، وكيف شكلت كرة القدم مسيرة حياتهم. بالإضافة لتاريخ النوادي البرازيلية العريقة منذ نشأتها حتى الآن، وما حققته من انتصارات، وما عانته من انكسارات. إنه كتاب «كرة القدم: الحياة على الطريقة البرازيلية» للكاتب الصحفي البريطاني إليكس بيلوس، الصادرة ترجمته العربية عن مؤسسة كلمة بأبوظبي سنة ٢٠١٣ بترجمة عبلة عودة. هذا الكتاب سنتناوله في هذه الحلقة بصحبة المدون موسى البلوشي.

● طبعا نحن نسجل هذه الحلقة ونحن في معمعة مباريات كأس العالم بالبرازيل (يونيو ٢٠١٤). لهذا السبب اخترتَ هذا الكتاب ؟

فعلا. تماما. الشغف والأجواء الحماسية لكأس العالم هي التي جعلتني أختار هذا الكتاب.

● يبدو أنه كتاب يوثق لتاريخ البرازيل مع لعبة كرة القدم.

يبدو هكذا. لكن من الظلم أن نعتبره فقط كتاباً رياضيا يوثق لعبة كرة القدم في البرازيل، بل إنه في الحقيقة يتحدث عن الدعائم الرئيسية الثلاث في الثقافة البرازيلية وهي كرة القدم، والدين والمعتقدات، والكرنفالات. وبالمناسبة أستاذ سليمان هذا الكتاب حصل على جائزة أفضل كتاب رياضي في بريطانيا.

● إذاً لنقل إنه أشبه بدراسة اجتماعية.

فعلا

● ولكنه يوثق أيضا لتاريخ لعبة كرة القدم في البرازيل. فمتى دخلت هذه اللعبة بالضبط إلى البرازيل؟

دخلت اللعبة إلى البرازيل بالضبط سنة ١٨٩٤ عن طريق أحد أبناء المهاجرين الاسكتلنديين الذين جاؤوا إلى البرازيل. هذا المهاجر اسمه جون ميلر هاجر إلى البرازيل في القرن التاسع عشر. وقد أرسل ابنه تشارلز ميلر إلى مدرسة داخلية في ساوث هامبتون في انجلترا حتى يكمل تعليمه، ولكن عندما عاد تشارلز من دراسته سنة ١٨٩٤ ووصل إلى ميناء سانتوس البرازيلي كان يحمل كرتَيْ قدم في يديه الاثنتين، وعندما سأله والده الذي كان ينتظره في الميناء عما يحمله في يديه أجاب تشارلز : «هذه شهادتي يا أبي، لقد تخرجتُ في كرة القدم».

● هناك أيضا روايات أخرى لدخول هذه اللعبة إلى البرازيل

نعم. هناك في أحد فصول الكتاب يتحدث مستكشف ألماني «اسمه ماكس شميت» أنه وجد مجموعة من القبائل في غابات الأمازون تمارس لعبة شبيهة بكرة القدم. بل إنها هي كرة القدم ولكنهم يستخدمون الرؤوس لتحريكها. أيضا الرئيس الأمريكي روزفلت زار هذه الغابات سنة ١٩١٣ ووجد هذه اللعبة موجودة هناك، كما يقول المؤلف. وبعد اكتشاف هذه اللعبة في غابات الأمازون حاولت مجموعة من الأندية البرازيلية أخذ هذه القبائل إلى المدينة لتقدم لها مباريات وعروضاً ترويجية هناك، لتبدو كرة القدم لعبة برازيلية خالصة. لكن هذا لن ينفي أبداً أن هذه اللعبة إنجليزية النشأة كما نعلم.

● بالتأكيد. هي لعبة إنجليزية النشأة، ولكن البرازيل اليوم هي الدولة الأكبر من ناحية عدد اللاعبين المحترفين خارج البرازيل.

نعم .. تجاوز عددهم الخمسة آلاف لاعب محترف خارج البرازيل

● أعان الله مدرب المنتخب؛ سيحتار من يختار للتشكيلة ومن يترك. اللافت أيضا أن هذه اللعبة دخلت البرازيل بالتزامن مع دخول النظام الجماهيري إليها سنة ١٨٨٩. والمؤلف اليكس بيلوس يقول إن لعبة كرة القدم هي في البرازيل أسلوب حياة وليست مجرد لعبة رياضية.

فعلا. كما ذكرتُ لك، لعبة كرة القدم متغلغلة في كل مناحي الحياة في البرازيل. ويكفي أنها حاولت وتحاول إلغاء الفوارق الاجتماعية بين الناس. بل إن أغلب الأندية لها أهداف اجتماعية من وراء اهتمامها بهذه اللعبة، منها إلغاء العنصرية والفروقات الاجتماعية الواضحة والبينة بين طبقات المجتمع في البرازيل.

● كيف أسهمت كرة القدم في إلغاء العنصرية وهذه الفروقات الاجتماعية؟

كان من أوائل الأندية التي أسهمت في استغلال كرة القدم من أجل هذا الهدف هو نادي فاسكو دي جاما الذي أسسه التجار البرتغاليون؛ فكان أول نادٍ برازيلي يسمح للاعبين السود بالمشاركة في هذا الفريق. بينما أثار هذا القرار حفيظة الأندية الأخرى التي رأت أنه قرار خاطئ، وحاولت تحجيم النادي فوضعت شرطا أن يكون اللاعبون المنتسبون للأندية يجيدون القراءة والكتابة، فبادر فاسكو دي جاما إلى تعليم لاعبيه السود القراءة والكتابة.

● يُلفتنا المؤلف إلى أن كثيراً من اللاعبين البرازيليين غيروا أسماءهم الحقيقية إلى أسماء أخرى لها جرس مختلف.

فعلا. هناك فصل في الكتاب بعنوان «ألقاب وأسماء وحكايات» يذكر المؤلف فيه أسباب إطلاق بعض الألقاب على بعض اللاعبين وطغيانها على أسمائهم الأصلية. ففي بعض الأحيان يتم اطلاق الاسم أو اللقب على اللاعب بسبب أسلوب لعبه. فمثلا هناك لاعب أطلق عليه مانتيغا (أي الزبدة) نظراً لأن تمريراته كانت منسابة كالزبدة!، وهناك اللاعب بيغودا (أي الشارب)، واللاعب ناريز (أي الأنف)، وبوكوينا (أي الفم الصغير).

● **ولا تنس سقراط أيضا .**

نعم .. سقراط. اللاعب الدكتور. وبالمناسبة هذا لاعب خرج من أسرة أرستقراطية، حصل على شهادة الطب سنة ١٩٧٩ ولكنه احترف كرة القدم بعد ذلك ليصبح من أشهر اللاعبين في العالم، واعتزل كرة القدم عام ١٩٨٧ وعاد لممارسة مهنة الطب . وبالمناسبة فإن اللاعب الأسطوري سقراط هو من كتب تمهيداً لهذا الكتاب.

● **نعم. هناك لاعب أسطوري برازيلي آخر هو بيليه. وهذا ليس اسمه الحقيقي، وإنما اسمه أديسون أرانتس دوناسيمينتو**

نعم. أيضا بيليه من اللاعبين الذين اشتهروا بغير أسمائهم الحقيقية . وبالمناسبة يذكر المؤلف داخل الكتاب أن اسم بيليه لا يعني شيئا في اللغة البرتغالية. فهو لقب مخترع كأي علامة تجارية أخرى تبدأ بلا معنى ثم تكتسب معناها وقوتها من قوة المنتج وتأثيره، مثل اسم «كوداك» وهو اسم تجاري بلا معنى إلا أنه يشير إلى منتج يعرفه العالم كله.

● **وماذا عن نيمار نجم البرازيل الحالي. هل هذا هو اسمه الحقيقي؟.**

أغلب الأسماء التي تطلق على اللاعبين البرازيليين هي بالمناسبة ليست أسماءهم الحقيقية. قد تكون هناك أيضا صبغة اجتماعية. ففي أحد الأيام وصل إلى البرازيل لاعب محترف من الأروغواي اسمه جراندم، وكان لاعباً أسود. بعد ذلك أصبح الجمهور البرازيلي يطلق على كل لاعب أسود اسم «جراندم». فهي تحمل صبغة اجتماعية كما ذكرتُ. وأحيانا أسلوب لعب الكرة هو الذي يؤثر على الاسم. وأيضا إذا كان هناك لاعبان من مدينتين مختلفتين يحملان الاسم نفسه، فإنه يطلق على كل منهما الاسم الأول مضافاً إليه اسم المدينة. كما حدث مع اللاعب جونينو عندما عاد إلى البرازيل بعد أن كان يلعب مع أحد الأندية في الخارج. وكان هناك لاعب آخر في فريقه يدعى جونينو. ولحل هذا الإشكال أصبح اللاعب العائد يدعى جونينو باوليستا (أي: من ساوباولو)، واللاعب الآخر حمل لقب جونينو بورنامبوكانو (أي: من بورنامبوكو).

● **أيضا لفت نظري أن هذه اللعبة استغلها السياسيون أيضا. مثلا الرئيس البرازيلي فارغاس الذي تولى السلطة سنة ١٩٣٠ كان أحد الذين عملوا على تعزيز الأفكار القومية باستغلال كرة القدم.**

نعم. فارغاس عمل على تعزيز الأفكار القومية وإلغاء التفرقة العنصرية والفروقات الاجتماعية في البرازيل. وليس فارغاس فقط. بل هناك رئيس آخر للبرازيل كان في يوم من الأيام رئيسا لأحد الأندية كما أورده المؤلف في الكتاب. أيضا هناك فصل كامل بعنوان «سلحفاة بقبعة نبيل» ، والمقصود بهذه القبعة هو رئيس نادي فاسكو دي جاما، ويتحدث فيه عن ممارسات السياسيين. بل إن هناك فصلاً آخر بعنوان «ملعب توني الكبير» يتحدث فيه عن بلدة في الشمال الشرقي من البرازيل اسمها بريخينو، وهي بلدة فقيرة يسكنها زهاء ثلاثة آلاف نسمة. وهي شحيحة المطر. عمدة المدينة شيد ملعباً في بريخينو سماه «توني الكبير» تيمناً بزوج ابنته. وحتى وقت تأليف هذا الكتاب لم يكن ثمة سوق محلي داخل هذه البلدة، ومع ذلك لا يشتكي الأهالي من ذلك، لأنهم يعتقدون أن كرة القدم هي كل شيء بالنسبة لهم، وأن وجود ملعب لكرة قدم في بلدتهم هو أفضل من وجود سوق محلي، بل إنهم حتى لم يسائلوا عمدة المدينة من أين جاء بالأموال التي شيد بها الملعب.

● **طبعا عدد سكان البرازيل يفوق اليوم ٢٠٠ مليون نسمة. هل استطاعت هذه اللعبة أن تغير حياة البرازيليين مادياً إلى الأفضل؟.**

ليس تماما. المسألة نسبية جدا. فمثلا الفصل الأول في هذا الكتاب يتحدث عن المحترفين البرازيليين. ويروى إليكس بيلوس حكاية محترف برازيلي يتجه إلى جزر فارو وهو يرى الثلج لأول مرة. وعندما شاهد البحر لأول مرة في حياته قال: «إنه أضخم نهر شاهدته في حياتي». وحكى بيلوس عن معاناة هذا المحترف هناك وأسلوب الحياة الصعب. وقال إن الحياة هناك صعبة ولكن لا بد من التأقلم معها لأن الحياة صعبة أيضا في البرازيل. وأيضا هناك اللاعب جارينشا الذي تزامن فترة مع اللاعب بيليه وحاز على الإعجاب نفسه والأضواء ذاتها. لكن بيلوس يورد في الكتاب أن جارينشا كان يعيش في حالة فوضى مالية، حتى إنه عندما زاروه في بيته وجدوه يضع نقوداً على الأرض وفوق الطاولة، أي إنه لم يكن لديه مديرون ماليون أو قانونيون، بعكس بيليه الذي تعامل مع كرة القدم

باحترافية عالية.

● **نعم. وبيليه صار بعد ذلك وزيراً للرياضة في البرازيل.**

فعلا. في حين مات جارينشا بسبب إدمانه للكحول.

● **البرازيل هي اليوم أكثر منتخب عالمي فاز بكأس العالم (خمس مرات)، وعلى الرغم من أن كرة القدم هي جزء من هويتها منذ بداية القرن العشرين، ورغم أنها من أقوى فرق العالم، إلا أن فوز البرازيل بكأس العالم كان متأخرا نسبيا، حيث كان أول مونديال تفوز به عام ١٩٥٨ في السويد، أي بعد ٢٨ عاما من أول مونديال. لماذا تأخر فوز البرازيل؟**

تأخر فوز البرازيل بالبطولات لأسباب كثيرة؛ بعضها يتعلق بوجود التفرقة العنصرية والتعصب فيها، وبعضها الآخر يتعلق بعدم وجود منشآت رياضية. وكذلك كان لخضوعها للحكم العسكري دور. وكذلك الحالة الاقتصادية الصعبة التي مرت بها البرازيل في فترة من الفترات وأدت إلى احتراف عدد كبير من لاعبيها في دول أوروبية. وكذلك عدم وجود المدارس، وعدم وجود قوانين منظمة للعبة.

● **العنصرية التي تقصدها هي عدم اختيار لاعبين أكفاء بسبب لونهم مثلا ؟**

تماما. مثلا على نطاق حراسة المرمى فإن أول مرة يتم فيها اختيار حارس مرمى أسود لمنتخب البرازيل كانت في مونديال عام ١٩٥٠ وهو الحارس باربوسا. وكانت البرازيل هي المرشحة الأولى للفوز بهذا المونديال لأنه يقام على أرضها، ولأن أوروبا كانت منهكة بسبب خوضها الحرب العالمية الثانية، ولأن البرازيل شيدت أستاد الماراكانا الشهير الذي وضعت فيه كل إمكانياتها، حتى إنه كان يعمل فيه ١٠ آلاف عامل طيلة ساعات اليوم من أجل انجاز هذا المشروع. وكانت مساحته الاستيعابية ١٨٣ ألف متفرج. وفي المباراة النهائية بين البرازيل والأروغواي حضر ٢٠٠ ألف مشجع، بل إن الصحافة البرازيلية كتبت منذ الصباح أن منتخب البرازيل سيحصد البطولة، لكن الخيبة كانت كبيرة لدى البرازيليين بفوز الأروغواي، وحدثت حالات انتحار ونوبات إغماء نتيجة لذلك. كان حزناً لم يستطع البرازيليون نسيانه لسنين طويلة. تخيل أن البطولة كانت عام ١٩٥٠.

موسى البلوشي

وفي عام ٢٠٠٠ «أي بعد خمسين عاما» كان اللاعب الأوروغواياني أليسيدس غيغيا صاحب هدف الفوز في زيارة للبرازيل فاستوقفته شرطية شابة سمعتْ باسمه وطلبت منه جواز سفره لتتأكد أنه هو اللاعب نفسه الذي أقصى منتخب بلادها وأبكى البرازيليين، فسلمها إياه، وعندما سألها عن سبب طلبها الجواز أجابت : «نحن لا ننسى من فجع قلوب البرازيليين»!. بل وأكثر من ذلك أن موجة جديدة من العنصرية انتشرت في البرازيل بعد الخطأ الذي ارتكبه الحارس الأسود باربوسا، وألقي عليه باللائمة في الهزيمة. وهناك حادثة شهيرة يستشهد بها المؤلف إليكس بيلوس وهي أن الحارس باربوسا كان يتجول في أحد المحلات في أواخر حياته فشاهدته امرأة برفقة ابنتها الصغيرة. وما إن تعرفت عليه حتى قالت لابنتها وهي تشير إليه: «انظري يا ابنتي. هذا هو الرجل الذي أبكى جميع البرازيليين»!

● **يبدو أن هذا الكتاب إذاً بالإضافة إلى تحليله الاجتماعي لظاهرة كرة القدم في البرازيل يحوي كذلك الكثير من الحكايات الطريفة**

فعلا. أيضا يوثق أنواع كرة القدم التي انتشرت في البرازيل: كرة القدم، كرة المسامير، كرة الأزرار، كرة الإيكو التي كانت تلعب في الغابات، كرة القدم الطائرة، وكرة القدم الشاطئية. ويوثق أيضا قوانينها التي نشأت وتدرجها. حتى إن هناك الآن اتحادات خاصة بهذه الأنواع المتفرعة من كرة القدم.

عرض جميل وممتع لكتاب «كرة القدم: الحياة على الطريقة البرازيلية» للكاتب الصحفي البريطاني إليكس بيلوس. شكراً جزيلا لك المدون موسى البلوشي.